

سُبْحَانَ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

سوريا والاسلام

(٧) نهوض الدولة العربية وسقوطها

ما ناقشنا احدا وكنا عند الرد على كل جملة من كلامه نلوم النفس على التصدي له الا كاتب مقالات (سوريا والاسلام) فان من كان يخلق ما يقول ويفتخر به علمه وتأنيبه اقتحارا لا ينبغي اضاءة الوقت في الرد عليه وان شاء تأثر قوله وقد خطر لنا الآن ان نترك الرد عليه لولا اننا لاحب ان نشرع في شيء ونضع أمامه مختارين قال ان سبب تأسيس تلك المملكة العربية العظيمة هي (١) كون جنات عدن لا يدخلها الا المجاهدون وهذا الحصر غير صحيح في الاسلام

و (٢) الفناء والتخلف التي كانت ترسل من سوريا الى بلاد العرب: وهذا هذين ظاهر فان كل فاتح يفهم وما كل من غم اسس مثل ذلك الملك العظيم . ثم ان ارسال الفناء من الفاتحين بالفعل الى المقيمين في بلاد العرب لا ينبغي ان يزيد في همهم انما يزيد فيها استئثارهم بما يقتسمون . و (٣) تولية كل قائد على البلاد التي يدوخها وهذا غير صحيح واذا صح فهو لا يصح سبباً لان القائد في العرب لم يكن حاكماً مستبداً مستبداً لحيفه يسيرهم لمصالحته ولان أكثر أولئك القواد الكرام لم تكن لهم عناية بالولاية والسبب الصحيح لتأسيس الدولة العربية هو أن الأمم التي فتحت العرب بلادها كانت كلها فاسدة الدين والأخلاق مخلة النظام ممثلة الأحكام فجاء الاسلام وجمع كلمة العرب المتفرقة على الاعتقاد الصحيح والتهذيب الكامل والعامل الشامل فكانوا بذلك سادة تلك الأمم التي سبقتهم بالمدينة وبكل مقومات الأمم قبل انحطاطها وتقدمهم وقد جاءت في كلامه كلمة فيهاروح الحق لو فهم ما ترمي اليه لما كتبها وهي ان العرب قتموا أولاً بامتلاك سوريا ولولا ان رأوا أنفسهم مهددين بالروم الذين يحيطون بهم من كل جانب لما تصدوا لافتح غيرها . وروح الحق في هذه الجملة هو ان السبب الصحيح في زحف المسلمين الى سوريا هو اعتداء أهلها من العرب المنتصرة وغيرهم على من يدخل

في الاسلام وقطع الطرق عليهم ومنعهم من التجارة وانما شرع الجهاد في الاسلام لاجل تأمين الدعوة ليكون الانسان على الدين الذي يختاره بلا إكراه ولا اجبار. ثم انهم بعد ذلك صاروا محاربين للروم الحاكمين على سوريا ومصر وغيرهما من الاقطار ومثل هذه الحرب لا تنتهي الا بتدويع احدى الطائفتين الاخرى . ومثل هذا المقام يشبه على الاكثرين وسنينه في المقال الموعد به في تاريخ الحرب واصلاح الاسلام فيه

ثم اراد الكاتب ان يبين اسباب سقوط الدولة العربية فذكر امورا (احدها) ان ما بني على الظلم مهدوم فان الامم التي خضعت للعرب كرها كانت كالماء المحصور يسد عظيم يطلب ثغرة ينفجر منها : ولو كان سقوط الدولة العربية بخروج السوريين والمصريين والفرس عليها واشماهم نيران الثورات والفتن الاهلية في بلادهم لاسقاطها أو ازالة ظلمها لكان لقوله وجه ولكن شيئا من ذلك لم يكن اذ لم ير أهل هذه الممالك أرحم ولا عدل من دولة العرب فهذا السبب مخترع من مخيلة الكاتب المتعصب كجاري

(ثانيها) ان اتساع المملكة وعدم وجود رابطة بين ارضها غير الدين كان مجزئتها : وان هذا وجه يشرح بغير ما قرره . (ثالثها) عدم مهادنة دولة الروم : وهو كجاري لاقيمته له .

(رابعها) أن اطلاق الحلفاء لحكام المقاطعات والولايات الحرة التامة في تدبير شؤون ولاياتهم حمل هؤلاء على الاستبداد والاستقلال عند ضعف الدولة . وهذا سبب صحيح مسطور في الكتب لا ينازع فيه ولكنه لا يبرد غليل تعصب الكاتب

(خامسها) وهو المهم عنده ان التعصب الديني واضطهاد المسلمين لتلك العناصر المختلفة والتضييق عليهم في كل شيء بسبب الاختلاف الديني حمل هذه العناصر على كره الاسلام وخلفائهم وولاتهم وحمل مسيحي سوريا على الاخص على مد يد الاستغاثة الى اخوانهم في أوروبا حتى جروا على المسلمين الحروب الصليبية المشهورة وهذا كجاري مكرر مع الاول لا يزيد عليه الا في ذكر نتيجة كراهة نصارى سوريا للمسلمين . وقد أنسى الكاتب تعصبه أن الحروب الصليبية ما حدثت الا بعد انحطاط الدولة العربية فكيف يكون الشيء سببا لما وجد قبله ؟؟

التاريخ الصحيح يشهد للعرب بأنهم كانوا عدل الحاكمين والحروب الصليبية لم تحدث بسوء معاملة لهم ولكن بتعصب نصارى أوروبا . و ذكر كتاب النصارى المارفون بالتاريخ ان الذين

أساؤا معاملة زوار القدس هم السلجوقيون وان تمصب أوروبا أعداء لذلك . جاء في دائرة المعارف ان زوار النصارى كانوا يقدون الي بيت المقدس على عهد الدول العربية ويذهبون « بأمان وطمأنينة ولاسيما في زمن العباسيين حتى قيل ان هارون الرشيد الذي استحكمت الصداقة بينه وبين معاشره شرلمان بعث اليه بمفاتيح بيت المقدس تأمينا لقلوب الزوار وتطيبا لخواطرهم . فكان القبر المقدس وكنيسة القيامة في أيديهم يجمعون بزيارتها بلا مساوئ ولا يدفعون الا اليسير من المال . ولما انتقلت الخلافة الي الفاطميين واستولوا على القدس سنة ٩٧٢ م ساروا على أثر العباسيين وظلوا يحسنون الي المسيحيين وزوارهم الي ان قام الخليفة الحاكم بأمر الله فضيق على النصارى وشوه الامكنة المقدسة عندهم وآذى الزوار فقلقت أوروبا لذلك ولكنها ما لبثت ان عادت الي السكون لان خلفاء الحاكم رجما فأحسنوا السياسة . ولما استولى السلاجقة على بلاد فلسطين ظلموا النصارى وضيقوا زوارهم فهاجت الخواطر في أوروبا ، الخ فقد رأيت ما اعترف به مؤلف الدائرة وهو نصراني عالم بالتاريخ يقل نظيره في كتاب العربية . اعترف بأنه لم يظلم النصارى أحد من ملوك العرب الا الحاكم الصيدي وقد كان مجنونا يظلم النصارى يوما والمسلمين يوما ومحرم أكل الملوخية يوما ويحلبها يوما

ولا يسع هذا الموضع ذكر الشواهد التاريخية على حسن معاملة العرب للنصارى وسائر الملل بالعدل والمساواة وكيف كان هؤلاء يفضلون سلطانهم على سلطة ابناء دينهم لاسيا في اول الاسلام إذ كان العمل بالدين دون السياسة . ولا يسع أيضا ذكر الاكاذيب التي افتراها قسوس أوروبا على الاسلام والمسلمين ليهيجوا شموهم على غزو البلاد السورية وابادة المسلمين منها فقد خنقوا لنا من العقائد الوثنية والتقاليد الكفرية والصوب الدينية والحلقية ما تقشع منه الجلود ولا ينخطر على بال أحد من البشر ان يخترعه الا أمثال هؤلاء المتحصين الذي خلفوا ثمانين بدمهم (رقول سواده) فورث تصبهم وقرائحهم الفادرة على الاختراع . ومن شاء ان يرى العجب العجيب من ذلك فليقرأ كتاب (الاسلام - خواطر وسوانح) لكونت كستري الفرنسي الذي عبره احمد متحمي بك زغالول رئيس محكمة مصر

ولد النصب الديني الذميمة في أوروبا وترى فيها وساح الي الشرق فأفسده على أهله

ولم يكن قبل حرب الصليب غلو في التعصب على المخالف في الدين يذكر بعد ما علم العرب الناس التساهل بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم فسكن بذلك ما كان بين اليهود والنصارى من قبل . وكل ما كان يقع من النزاع والخلاف بين المختلفين في الدين فقد كان يقع مثله بين أهل الدين الواحد والجنس الواحد ومن شاء زيادة البيان في هذا فليراجع مقالات (التعصب) التي نشرناها في السنة الأولى للسنار فقد كانت موضع إعجاب النصارى والمسلمين

أقوات رفول سعادة على العرب وجردهم من مزية العدل والأصاف التي شهدتهم بها العالم أجمع ولم يكتب تعصبه بهذا بل جردهم أيضا من سائر المزايا العلمية فقال : وهكذا سقطت الدولة العربية ولاأسف عليها لانها لم تترك أراضيها الا لتشرها اللغة العربية في اطراف المعمور : ولو سأل مؤرخي الفرنجة وفلاسفتها وعلماؤها عن آثارهم لقالوا انه ان العرب أحيوا العلم بدموتهم والفسافة بعد دفتها والفنون بعد تلاشيها وأنهم اساتذتنا في كل العلوم والمعارف فيالسنى على دولتهم وبأسنى على أيامهم وباليها دامت أو طالت ، وبلغت ن السعي في الفضل ما أرادت ، يأخذ العالم عنها كل شيء كاملا : يقرأ تاريخ سائر المؤرخ وكتاب الفيلسوف حيون وغيرها من الكتب الأفرنجية بدلا من رسائل الراهب وخطبه الحمسية التعصبية فذلك خير له ان كان يريد ان يكتب

ما مقبولا عند المعتاد ومخدم سوريا العربية التي يملك معظمها المسلمون

ان الكاتب يفتخر بالسوريين الاصليين الذين اقرضوا وابدوا وصارت سوريا بدمهم عربية خالصة . فليخبرنا أي أثاره من علم تركها السوريون الاصليون وهم قبائل نيفليم وأمير ورافيم وزوزيم وغناقيم . وان ذكر الفينقيين أقل له أنهم جاؤا سوريا من جبال كردستان ولبسوا بسوريين أصليين فهم فأنحون كالعرب ولم يكن لهم من الآثار العلمية مثل ما للعرب وإنما كانوا أصحاب ملاحه وتجارة

أعود في آخر هذه التنبذة الى مماثلة نفسي على تفيد كلام مخترع ككلام هذا للتعصب العالي الذي غرني بأوائله نشر جريدة المناظر محبة الانصاف له ولعلمها تنشر الرد عليه ليكون هذا كفارة لذلك والله يتولى هدايتنا أجمعين . (الرد دقبة)

